Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الأدب العربي في عصر النهضة (تمازج الثقافات)، ولهذا فإننا نقف عليها بشكل مفصل. إذا كان العقل يعتبر مقياساً لكل شيء ومعياراً لكل شيء موجود، فإن الجهل والغباء بدورهما يبدوان وكأنهما مقياسه ومعياره السلبي.

مثل هذه الوظيفة ـ (السخرية من الفظاظة والجهل ـ تلعبها الحوادث الطريفة التي ساقها ابن عبد ربه في «العقد الفريد»):

وسأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو في خفه أو في جبهته من حصى المسجد، فقال: ارم بها، قال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد فقال: دعها تصيح حتى ينشق حلقها، فقال الرجل: سبحان الله ـ ولها حلق؟ فمن أين تصيح؟:

أكان من الممكن ظهور مثل هذه السخرية في العصر السابق؟! حتى إننا لو تركنا جانباً الحقائق المحددة التي ظهرت هنا، والتي لم تكن طبعاً موجودة في الشعر الجاهلي، فإن الهجاء هنا شيء آخر مغاير، إنه السخرية التي لا ترتكز على العاطفة، بل على المنطق والعقل. ذلك الذي يختلف عن هجاء الشاعر الجاهلي. إذ إن عدوه كان مريضاً بالبرص، ومظهره الخارجي لا يتناسب مع مثل الشخص عند البدوي، وهو مولى من سلالة العبيد، وليس عربياً أصيلاً قحاً. ولفظة (جهل) في الشعر الجاهلي البدوي كانت عكس كلمة (حلم)، وعنت (غياب الحكمة والتروي الزائدين) أما فيما بعد فإننا نعثر دائماً على الطباق بين مفهومي جاهل وعاقل (غبي «عقلاني عارف»).

حتى إن العيبين التقليدين ـ البخل والجبن، يعاد إدراكهما وفهمهما على أنهما ظاهرة من ظواهر عدم الوعي والإدراك بل من ظواهر الغباء.